زوايا الطريقة الرحمانية في الجلفة
و دورها الديني و الاجتماعي

أ. سعود أمينة
جامعة الجلفة

مقدمة :

لطالما احتاج المجتمع الانساني قديما و حديثا ، إلى نظم و قواعد ، تضبط و توجه تصرفاته ومعاملاته ، تستمد هذه النظم من الدين ممثلا في تشريعاته ، أو من القانون الوضعي المتعارف عليه في إطاره الرسمي أو العرفي ، و في إطار هذا الأخير وجدت الزوايا ، و تنوعت أدوارها ، في ظل الأوضاع السياسية ، و الاقتصادية ، و الاجتماعية ، و الثقافية المتباينة التي تخلف ظروفا خاصة للمجتمع من سلم و حرب ، و غنى و فقر ، و استقامة و اعوجاج ، و ازدهار و انحطاط ...

في هذا السياق ستتم مناقشة الإشكاليات التالية :

ما هي أدوار الطرق الصوفية عموما في إطار الزوايا في الجزائر بين الأمس و اليوم ؟

وما هي خصائص الطريقة الرحمانية على وجه الخصوص ، و ما مدى انتشار زواياها و عراقتها في ولاية الجلفة ؟ و ما هي الأدوار التي أدتها و تؤديها على المستوى الديني و الاجتماعي ؟

1- مفهوم الزاوية و دورها بين الأمس و اليوم:

إن الزاوية مرجعية دينية، ذات بعد اجتماعي و أخلاقي، و مدرسة عظيمة خرجت الأئمة والمربين وأصحاب المعرفة الدينية الصحيحة بالرغم من حصيرها المتواضع.

إنها مركز إشعاع روحي و أخلاقي، حفظت الذاكرة من الانفلات و التلاشي، و عملت على تحفيظ كتاب الله لأبناء المسلمين ، و تعليمهم علوم الشريعة الإسلامية، و تحفيزهم بالمسابقات و الجوائز، وغرست فيهم الأخلاق الفاضلة ،كما عنيت بالفتوى ، و الوعظ ،و الإرشاد ،و التربية الروحية والمعرفة الدينية الحقة ، و الأوراد، و الذكر ، و إحياء المناسبات الدينية، و قامت إبان الاستعمار بالحفاظ على الهوية العربية الإسلامية الجزائرية و استنهاض الهمم، و التعبئة الجهادية، بالإضافة إلى دورها الاجتماعي، ممثلا في حل المشاكل و المنازعات و الصلح بين المتخاصمين، و إيجاد الصيغالمشروعة للتواصل و التعاون، و تحقيق التكافل الاجتماعي، من إيواء للفقراء، و إطعام للمساكين و رعاية الأيتام، و تزويج للشباب، و علاج للمرضى، كما أنها تنشر الطرق الصوفية.

و هكذا فالزاوية بمثابة حصن منيع لكل من قصدها ، محققة بذلك دور المؤسسة الدينية التربوية الاجتماعية، الممدة الجذور في التاريخ[1].

2- أسباب تراجع بعض الزوايا اليوم:

1.2 انحراف بعض الدور المحسوبة على للزوايا، إذ تتحول الزاوية عن أدوارها الإيجابية إلى أماكن تمارس فيها الشعوذة و الدجل و التضليل، و النزوع إلى بث الخرافة في أوساط الناس وإيهامهم بأن الشيخ يحول بينهم و بين الله، و أنه يعطي و يمنع، و يعاقب و يصفح، و أنه يفعل الخوارق التي لا يصدقها عاقل و التحذير من إنكار ما يُروى و يُشاهد من أمرهم وفعلهم، و الكثير من البدع فالتبس الحق بالباطل[2].

[1]- مسعودي يحي، مقال بعنوان: "ما لا نعرفه عن الدور الحقيقي للزاويا" بجريدة الصباح. العدد 257. بتاريخ 23 نوفمبر 2004.

[2]- القاضي النعمان، آداب أتباع الأئمة. تقديم و تحقيق: مصطفى غالب. منشورات دار الهلال. سنة 1985، ص 195.

يقول في ذلك صاحب كتاب، "التصوف ماله و ما عليه" ياسين رشدي: "و من الغريب أنك لا تجد ضمن علوم [الصوفية الأوائل] ما نراه الآن من بعض أدعياء التصوف من التنافس على مشيخة الطرق ، التي تعددت أسماؤها و تفرعت، و نسبت لأشخاص، و اتهم بعضهم بعضا بالإدعاء، بل حرم على المنتسبين إليهم، الانصراف إلى طريقة أخرى..."

كما لا نجد في علوم الأوائل، الالتزام بزي معين، أو لون خاص للعمامة بل نسمعهم يقولون:

ليس التصوف لبس صوف ترقعه و لا التمايل إذا غنى المغنون

إن التصوف أن تصفو بلا كدر و أن تتبع الشرع و الحق و الدين

و لم يكن هناك طرق بأسماء الأوائل كبشر الحافي، وسهل التستري، و السهروردي و حسن البصري، و لم نجدلهم احتفالات بمولد فلان، و لم نجد لهم ذكرا بالدفوف والمزامير ولم نجد في أحوالهم رقصا، أو اختلاطا بين الرجال و النساء، و لم نسمع عن أحدهم أنه كان معاهدا للثعابين و الحيات .. و إنما نجد منهم تنافسا في حفظ القرآن، و العمل بأحكامه، و اقتداءً بسنة سيد الأنام و أخلاقه (ص) .. و تعففا عن مال المريدين لدرجة أن الكثير منهم يرفض قبول الهدايا لأنه لا يستطيع أن يجازي عليها، و كلهم كانوا يأكلون من عمل أيديهم، و لا يتكسبون بدينهم، و لم

يكونـوا مـدّعين للكرامـات، بـل كـانوا يقولـون: إن أكـبر كرامـة هـي التوفيـق إلى الطاعة"[1].

2.2النزوح الريفي في ظل التغير الاجتماعي، فمجتمع اليوم غير مجتمع الأمس من حيث فكره وسلوكه ، و عاداته ، ونمط معيشته إذ غلبت على المجتمع المدينة و الاستقرار بعد سنوات الحل الترحال و ى تزال ظاهرة النزوح الريفي متصاعدة نظرا لإغراءات المدينة و أضوائها المستقطبة فانشغل الناس بأمور المعاش التي أصبحت أكثر تعقيدا و صار أكبر همهم جمع المادة. يصف الد. السعيد رمضان البوطي مسلمي اليوم "بأن قلوبهم خاوية، تصفر فيها رياح الشهوات و الأهواء، و عواطفهم مستحجرة قاحلة، جمّدها صقيع المادة و المدنية"[2]

3.2التكنولوجيا التي أتاحت الانفتاح اللامشروط على الغرب بماله و ما عليه و تقليده و ما جر الكثير من المفاسد التي تنخر في جسم المجتمع العربي و أضعف الوازع الديني و الأخلاقي خاصة لدى الشباب و صرفهم عن كل ما يمت للتربية الروحية بصلة. يصفهم عبد القادر الشطي الإمامبالجلفة قائلا: "قمن أوصاف الناشئة العصرية و أخلاقهم، أنهم متفننون في علوم المنطق و الرياضيات و الطبيعيات، ميّالون إلى التمدن العصري في المأكل و المشرب والملبس، تعجبهم ثيابهم البراقة و نعالهم اللماعة، يخدمون النفوس و الجسوم بالمشتهيات ألسنتهم مقاريض الأعراض، و أعمالهم مدخولة بالأغراض، راضون على أنفسهم، ساخطون على غيرهم، لا يرفعون لموعظة رأسا، و لا يرون لغيرهم فضلا، معرضون عن علوم الآخرة .. و الأقرب إلى الخير منهم من يؤدي فروضه الدينية أداءً ضعيفا.."[3]

[1]– رشدي ياسين، التصوف ما له و ما عليه، نهضة مصر. ص 202-204.

2– عبد القادر الشطي، حقيقة السلفية الوفية. مذهب أهل الحق الصوفية. 2002.

[3]– المرجع نفسه، ص 229.

4.2 شيوع مؤسسات التعليم العمومي و الجامعات و الانصراف إليها على حساب الزوايا خاصة و أن الوظائف مرتبطة بالشهادات التي تمنحها. بالإضافة إلى المؤسسات الاجتماعية القائمة على رعاية الأيتام و المسنين.

5.2 كثرة الفتاوى و المفتين عبر وسائل الإعلام المختلفة.

6.2 ضعف ميزانيتها و اعتمادها على صدقات المتصدقين و المتعاطفين الزهيدة.

7.2 تراجع نفوذها بعد الاستقلال، "فقد كان المرابطون يقودون أتباعهم في الحروب الجهادية و ينصرون المجاهدين و يطعمونهم في زواياهم ، يتحالفون مع المكافحين من أجل الدين و حماية البلاد"[1].

3- ماهية الطريقة:

"قال تعالى: "اهدنا الصراط المستقيم"، و قال عبد السلام في الفوائد: الصراط: الطريق والطريق عو الموصل على المقاصد و الخيرات ، و قال تعالى: "و لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءا غذقا" [الجن 16]، و قال الطبري في تفسيره: الطريقة هي طريقة الإسلام، قال تعالى: "قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا" [الإسراء84] و الشاكلة، الطريقة"[2]

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 10 إلى 14 هـ (16-20م)، ج1، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، سنة 1985. ص 266.

[2]- الحسين محمد مأمون مصطفى القاسمي، ورد الطريقة الرحمانية الخلوتية من الكتاب و السنة. إعداد محمد فؤاد القاسمي. دار الخليلي. ط1. سنة 2005. ص8.

"و يقول سيد مصطفى بكري في كتاب السير والسلوك: الطريق: تتبع أفعال النبي (صلى الله عليه وسلم) و العمل بها، و قال المناوي: الطريقة: السيرة المختصة بالسالك إلى الله من قطع المناول والترقي في المقامات"[1].

4- الهدف من الطرق:

و الطرق كثيرة و هي بمثابة مدارس تربوية روحية[2] و لها أكثر من هدف على أكثر من مستوى من ذلك : نزع البذخ، و إرجاع الناس إلى الله وكسر النفس و التواضع و تعليم الأدب و محاسبة النفس، و "دعوة غير المسلم إلى الإسلام، العلم بالشرع و العمل به، التعليم، الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر[3] ، والجهاد حال الحرب و مقاومة الظلم و الفساد .

5- دور الطرق إبان الاستعمار:

- نشر تعاليم الإسلام
- الوقوف في وجه الاستعمار الغربي، و الدعوة إلى مقاتلته
- مجابهة حملات التبشير المسيحية قبل النهضة الإصلاحية في العصر الحديث
- و لقد ساهم أتباع شيوخ الطريقة الرحمانية بالجزائر بفعالية أيام ثورة المقراني ضد المستعمر الفرنسي[4].

6- شهادات لمفكرين غربيين تُقر بأهمية دور الطرق الصوفية:

" جاء في تعليق الأمير شكيب ارسلان على الجزء الأول من كتاب حاضر العالم الإسلامي نقلا عن كتاب الإسلامية و المسيحية بإفريقيا بوكني موري قال:

---

[1]- باش تارزي مصطفى، شرح الرحمانية. كتاب المنح الربانية. المطبعة التونسية، 1351، ص 25.

[2]- قويسم الميلود، موسوعة التحقيق المتكامل في نبذة من مناقب و عادات و تراث أجداد العروش الأوائل. دار أسامة. ط1. ج3. سنة 2006. ص161.

[3]- الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة. طبعة جديدة. ج3. سنة 1980. ص251.

[4]- المرجع نفسه. ص 252، 254.

...إن أتباع الطرق هم الذين تم على يدهم إسلام القسم الأعظم من مسلمي أواسط إفريقية و هم الذين أوقدوا الحمية الدينية بعد أن كادت أن تفتر، ...

و قال بعضهم الصوفية هم في الحقيقة، القوة الدالة على الحيوية و النماء في العالم الإسلامي فتراهم في إفريقية، و في الصين، و الهند، و أواسط آسيا، بل في جزائر المحيط، يدعون إلى الإسلام وُ دخلون الأفواج فيه كل يوم، ...و ما دخل الفرنسيون قرية إلا وجدوا الصوفية قد سبقوهم إليها وزرعوا بعض الناس لهم فيها ... و قال القائد الفرنسي (رين) في شأن النهضة الإسلامية الحديثة ..."و تأتي قوة هذه الحركة الإسلامية من تعدد الطرق الصوفية، و عظم شأنها في جميع الأنحاء، وصار لها تأثير شديد في قلوب الناس، و لهم رسل و مريدون يطوفون البلاد الإسلامية التي لا حد لها، وغير الإسلامية كمبشرين، أو مستعطين، أو قاصدين للحج، و يصلون بهذه الكيفية بين الأقطار، و منهم التاجر و طالب العلم و الشحاذ و المجذوب، و كلهم يُلاقون صدورا رحبة و منزلة كريمة بين المؤمنين.

و قال (كوونتانسون) نرى حركات كثيرة و أعمالا كبيرة يقوم بها الأمراء في العالم الإسلامي ثم تزول كأن لم تكن، أما العمل الثابت الدائم فهو عمل الصوفية، فالفضل لهم في انتشار الإسلام شرقا و غربا شمالا و جنوبا.

و قال (شاتيلي) بعد أن أطال البحث و الشرح في وصف كيفية انتشار الإسلام في العالم وعزاه لمساعي مشائخ الطرق قال: "و الخلاصة أن الإسلام مدين بكل فتوحاته السلمية و انتشاره في الأقطار لجماعة الصوفية, فمشائخ الطرق هم في الحقيقة الذين يديرون حركة الإسلام الحية، و لا يخفى ما في عملهم هذا من الخطر على المصالح الأوربية"[1]

7- أصل تسمية الرحمانية:

[1]- المرجع نفسه. ص 253.

قيل من التركيب رحمة و نية.

اسمها الرحمانية بالفضائل محوية

للقلوب شافية من أمراض خافية[1]

" و قيل نسبة إلى الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهر الفقيه الصوفي من قبيلة آيت إسماعيل بجرجرة. تعلم في الأزهر بمصر، و أخذ الطريقة الخلوتية عن الشيخ محمد بن سالم الحفني، و نشرها في المغرب العربي، فنسبت إليه، توفي سنة 1794م. [وقيل 1720م حسب الجيلالي في ج4 تاريخ الجزائر].

و تختلف تسميتها من مكان إلى آخر: بصحراء الجزائر : العزوزية ، بمصر : البكرية ، بالشام: السهروردية ، و في بعض المناطق : الحفنية ، و هي على العموم الطريقة الخلوتية، طريقة أهل السنة والجماعة. و الخلوتية نسبة إلى الخلوة، من خلا يخلو خلوا و خلاء، و الكلمة عند اللغويين تحتمل عدة معان منها: الانفراد، والانعزال، و الاستثناء، و الاعتماد، و الإرسال، و الإطلاق، و التجرد، والتفرغ، و الترك، و الكلام، و البراءة، و التسليم، و الموادعة، و المضي، و الموت[2].

8- الخلوتية عند الصوفية:

هي محادثة السر مع الحق، حث لا أحد و لا ملك سواه. "و بهذا يتحقق الإخلاص في الأعمال، قال السوسي: الخالص من الأعمال، ما لم يعلم به ملك فيكتبه، و لا عدو فيفسده، ولا النفس فتعجب به،". و يرون أن الخلوتية مستمدة من معانيها، فقالوا: "هي طريقة مؤسسة على الكتاب و السنة"، مستندين إلى الحديث الذي رواه البخاري عن السيدة

[1]- باش تارزي مصطفى، شرح الرحمانية، ص 215.

[2]-الحسيني محمد المأمون، ورد الطريقة الرحمانية. ص9، 10.

عائشة رضي الله عنه قالت: "أول ما بديء به صلى الله عليه و سلم الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه، و هو التعبد الليالي ذوات العدد". و قال القسنطيني: "قال القسطلاني إنما حبب إليه الخلوة لأن معها فراغ القلب و الاتقطاع عن الخلق. و فيه تنبيه على فضلها و سنيتها، لأنها تريح القلب من أشغال الدنيا و تفرغه لله تعالى" . و يستندون أيضا إلى قوله صلى الله عليه و سلم: "سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله" من جملتهم "رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه" وإلى الحديث القدسي: "يا ابن آدم إذا ذكرتني خاليا ذكرتك خاليا"[1].

9- فوائد الذكر:

قال الله سبحانه و تعالى: "الذين آمنوا و تطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب" [الرعد 28]. و قال عز وجل: "و اذكر ربك كثيرا و سبح بالعشي و الإبكار" [آل عمران 41]. وقال عز وجل:"و اذكر ربك في نفسك تضرعا و خيفة و دون الجهر من القول بالغدو و الآصال ولا تكن من الغافلين"[الأعراف 205]. و قال عز وجل: "فاذكروني أذكركم و اشكروا لي ولا تكفروني" [البقرة152]. و قال عز وجل: "فاذكروا الله قياما و قعودا و على جنوبكم" [النساء 103]. و قال عز وجل: "و اذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون"[الأنفال 45 و الجمعة 10]. و قال عز وجل: "ولذكر الله أكبر و الله يعلم ما تصنعون" [العنكبوت 45]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: "له وجهان، أحدهما أن ذكر الله تعالى لكم، أعظم من ذكركم إياه، و الآخر، أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه" . و قال تعالى: "إن الذين إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون" [الأعراف 201]. قال الفخر الرازي:"فائدة الذكر، إزالة الظُلمة البشرية". و قال صلى الله عليه وسلم: "ما عمل ابن آدم عملا أنجى له من عذاب الله، من ذكر الله. و قال صلى الله عليه

[1]- المرجع نفسه. ص3.

و سلم: "ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله فيه، إلا حفتهم الملائكة، و غشيتهم الرحمة، و ذكرهم اله فيمن عنده". و قال صلى الله عليه و سلم: "إذا رأيتم رياض الجنة فأرتعوا فيها، فقيل له و ما رياض الجنة، فقال مجالس الذكر" و في الحديث القدسي: " من شغله ذكري عن مسألتي، أعطيته أفضل مما أعطي السائلين". قال أبو بكر الكلاباذي: "الذكر أن تنسى ما سوى المذكور في الذكر، و الذكر طرد الغفلة، فإذا ارتفعت الغفلة، فأنت ذاكر و إن سكت". قال أحمد الخالدي: "الذكر ثلاثة أنواع، ذكر باللسان، و ذكر بالقلب، و ذكر بالروح، فبالأول يتوصل إلى الثاني، و بالثاني يتوصل إلى الثالث الذي هو الغاية القصوى". و قال: "ذكر الله بالقلب سيف الخواص، و ذكره باللسان سيف العوام". قال تقي الدين ابن أبي المنى الحلبي: "الذكر المطلوب، ذكر اللسان طريق إليه". و قال الغزالي في "الإحياء" و ابن الجوزي في "المنهاج": "اعلم أنه ليس بعد تلاوة القرآن عبادة تؤدي باللسان، أفضل من ذكر الله". و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "أفضل الذكر لا إله إ الله"[1].

10- الطريقة الرحمانية في الجلفة:

هي الطريقة الأكثر شيوعا و إتباعا، و حسب إحصائيات مديرية الشؤون الدينية لولاية الجلفة، فإن عدد زوايا الطريقة الرحمانية بالجلفة لعام 2008، هو 27 زاوية رحمانية من مجموع الزوايا البالغ 32 زاوية ومن هذه الزوايا الرحمانية نذكر:

1.10 زاوية الشيخ بن عرعار:

زاوية الشيخ بن عرعار و لعلها أقدم زاوية في بني نائل أسسها الشيخ عطية المشهور بلقبه "بيض القول" الذي أخذ الطريقة الرحمانية عن شيخ مشايخها سيدي محمد بن عبد الرحمن الزواوي صاحب جرجرة في بلاد القبائل المعروف بالأزهري نسبة إلى الجامع الأزهر

[1]- المرجع نفسه. ص 11-14.

الشريف و كان تأسيس الزاوية سنة 1780 م و ذلك في عهد الأتراك قبل الاستعمار الفرنسي، و كانت على غرار جل الزوايا المنتشرة عبر التراب الوطني تهدف إلى ترسيخ العقيدة الإسلامية، و تحفيظ القرآن الكريم والثبات على الهوية الوطنية، و بعد وفاته، خلفه نجله سيدي أحمد، و بقي محافظا على ما أسند إليه من مهام الزاوية حتى توفي سنة 1850 م ، ثم خلفه ابنه سيدي البشير و سار بسيرة أبيه في تعليم القرآن وإحياء معالم الدين و الإصلاح بين المسلمين، و إعانة المعوزين من القفراء و المساكين، وبعد وفاته تولى خدمتها ابنه الشيخ بن عرعار الذي سميت باسمه، و ازداد نشاطها في تعليم و تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين و ازدهرت بالمعارف و تخرج منها حُفاظ و فقهاء بداء من سنة 1909م إلى غاية 1954 م سنة وفاته، ثم خلفه نجله الشيخ محمد و بقي على سيرة سلفه متمسكا بالدين وساعيا في إصلاح ذات البين حتى توفي سنة 1973 م ، ثم خلفه نجله الشيخ الأخضر فبعث روحا وثابة في الطلبة بتحفيظ القرآن و تدريس الفقه و السيرة و الحديث الشريف[1].

2.10 زاوية الشيخ سيدي عطية (الجلالية)

أسس سيدي عطية بن أحمد بيض القول زاويته بالمكان المسمى طكوكة شمال شرقي قرية عين معبد بالجلفة ثم أمره الشيخ سيدي محمد بن بلقاسم بنقلها إلى الجلالية جنوب عين معبد وعمرها بالعلم و القرآن و غمرها بالجود و الإحسان، و اشتهرت و ازدهرت بدروس العلم المتنوعة، تخرج منها فقهاء و علماء و حفظة للقرآن الكريم. تلميذه الأكبر الذي أذن له في تعليم العلوم على اختلافها، الشيخ الهادي بن مصطفى مسعودي و أخيه الشيخ عطية الذي تولى الإمامة و الخطابة بالجامع الكبير في الجلفة مدة أربعين عاما، و منهم الشيخ قدور

[1]– محفوظي عامر، تحفة السائل بباقة من تاريخ سيدي نايل، ط1. سنة 2002، ص 26.

بن هدية حمر العين و الشيخ موسى بن بلخير و الشيخ عمر الدمدي. و سنة 1917 توفي الشيخ عطية و ولي ابنه الشيخ سي أحمد ولم تطل خلافته فتوفي سنة 1921م، ثم خلفه ابن أخيه الشيخ ابن عرعار و نشطت في خلافته نشاطا فائق بتدريس الفقه و اللغة و تحفيظ القرآن و كان من مشايخ التعليم السادة: الشيخ نعيم النعيمي والشيخ عطية مسعودي، و من أهم ما قام به وكيل الزاوية تخليص الديون التي أثقلت كاهلها بسبب المجاعة و الخصاصة التي نزلت بالأمة، حيى سنة 1965م، خلفه ابن أخيه الشيخ سي البشير بن أحمد و بقي يكابد رغم الاحتياج وقلة الموارد و فقد جل المحسنين سنة 1992 خلفه ابنه الأكبر سمي جده سي أحمد الشيخ[1].

3.10 زاوية الشيخ بولرباح بن المحفوظ سي علي بن سي محمد

أسسها الشيخ بولرباح بن المحفوظ سنة 1830 م و كانت متنقلة صيفا و شتاء، بالرغم من صعوبة الانتقال لعبت دورا هاما في تعليم القرآن، و نشطت في تربية الطلبة و مساعدة المحتاجين والصلح بين المتخاصمين، و اشتهرت بحفظة القرآن من أقارب و أباعد، و كان رئيسها واقفا صامدا في وجه المحتلين الغاصبين، ناصحا للمسلمين حتى توفي سنة 1885م، ثم حلفه ابنه الشيخ محمد، و احتضن الزاوية و بقي قائما بما وكل إليه حتى لقي الله. ثم خلفه نجله الشيخ علي الذي اقتدى بسلفه في نشاط متواصل و بنى مساكن للطلبة و الضيوف و القاصدين، كما كثف من تعليم القرآن و الفقه و الدروس العلمية المفيدة، و في سنة 1889م توفي، فخلفه نجله الكهل الشيخ مصطفى، و ازدادت الزاوية في توليته، نشاطا ملحوظا، تمثل في تحسين بناءاتها

[1]– المرجع نفسه. ص34، 35.

و إنارتها، و إدخال المياه الصالحة للشرب فيها، و تعبيد الطريق إليها، و ازدهرت ببناء مسجد للمصلين و مياضي للمتطهرين، و كان ساعده الأيمن أخوه الشيخ بن خليفة في تحفيظ القرآن وتجويده مما رفع من مستوى الطلبة الذين أهلتهم ثقافتهم للتعليم القرآني كموظفين و إمامة المساجد للمصلين[1].

4.10 زاوية الشيخ عبد الرحمن النعاس:

أسس زاويته التي كانت تعرف بحوش النعاس ولما توسعت البناءات حولها صارت تعرف بدار الشيوخ وعمرها بتعليم القرآن الكريم و تحفيظه لأبناء المسلمين، و اشتهر الشيخ مؤسسها الأستاذ سيدي عبد الرحمن بن سليمان، بالإرشاد و الإصلاح، و تخرج من زاويته حفظة القرآن و فقهاء نزهاء يعلمون ويرشدون، و بقي داعيا في الخير ساعيا حتى توفي سنة 1907م، ثم خلفه ابنه الأستاذ الفقيه الوجيه الشيخ محمد الذي عرف بالعلم و الشجاعة و الفصاحة و الأدب و النصح و التوجيه بالفكر الصائب و الذهن الثاقب مقتبسا من أسرار والده و مصيبا في معرفته و اجتهاده فعمر الزاوية ونشطت في خلافته و بقي جادا و صابرا مرابطا في جهاده مدة أربعين سنة حتى توفي سنة 1846م. ثم خلفه عليها نجله العفيف الشيخ السيد الشريف فبقي سائرا على العهد بالرغم من مستجدات الوقت من كثرة الأشرار و ارتكاب ما يوجب المقت و العار، لم تهن له عزيمة حتى توفي سنة 1969م. ثم خلفه ابنه الشاب الشيخ محمد.[2].

5.10 زاوية زنينة (الإدريسية حاليا):

[1]- المرجع نفسه. ص.29.

[2]- المرجع نفسه. ص33، 34.

أسسها العارف الرباني ذو الفيض الرحماني الأستاذ سيدي عبد القادر بن مصطفى طاهري بإذن و اعتماد من شيخه عطية بن أحمد بيض القول مؤسس زاوية الجلالية، و ذلك سنة 1907 وأمره بتلقين الأوراد و تعليم العلم و تحفيظ القرآن و خدمة المجتمع و نصح المسلمين و بذل كل مجهود ف بإصلاح ذات البين و إعانة المعوزين و إطعام الفقراء و المساكين، كما هو الشأن في شيوخ الطريقة الرحمانية و سلسلة رجالاتها الذهبية، فقام بجد و اجتهاد و خدم الطريقة، و علم الطلبة وأكرم الضيوف و تلقي تلك السنين العجاف بالبذل و الدفع في طهر و عفاف بداء من الحرب العالمية الأولى إلى انتهاء حرب الجزائر التحريرية التي ضحى فيها بابنه الثاني الشهيد عبد الرحمن، و تخرج من زاويته حفظة للقرآن الكريم، و فقهاء نبهاء سائرين على النهج القويم عاش ما يقرب من حوالي 90 عاما كلها في عمل صالح جاد و مواظبة على الخير في اجتهاد حتى توفي سنة 1967م، فخلفه على الزاوية نجله الأكبر أحمد مواصلا درب أبيه"[1].

6.10 زاوية الشيخ بن محمد بن عطية:

أسسها الشيخ بن محمد بن عطية بمنطقة القيشة ببلدية الزعفران بالجلفة بإذن من الشيخ عبد القادر طاهري شيخ الطريقة الرحمانية، و بنى فيها مسجدا و بيوتا للطلبة حفظة القرآن، و بيوتا للضيوف و ذلك بتاريخ 1940، و انتقل إليها القاصدون و تخرج منها جماعة توظفوا في تعليم القرآن بوزارة الشؤون الدينية، مؤسسها رحمه الله تقيا صالحا ذاكرا شاكرا ناصحا للمسلمين شفيقا رحيما بالمستضعفين و بقي صابرا محتسبا يقيم حلقة الذكر صباحا و مساء حتى توفي سنة 1989م ثم حلفه على الزاوية ابنه الشيخ عبد القادر و سار على نهجه و قد اعترضته مشاكل الوقت التي عمت في البلاد و تعرض للأذى ممن لا يخافون

[1]– المرجع نفسه. ص38، 39.

الله مما حمله على مغادرة مقر الزاوية ثم عاودها بعد الشدة. و رجع إلى مقر الزاوية مواصلا المشوار في تعليم القرآن و عمارة الزاوية بالطلبة و نصح الإخوان[1].

7.10 الزاوية الطاهرية:

تأسست الزاوية الطاهرية و سميت باسم مؤسسها الشيخ الطاهر بن محمد سنة 1837 م تقريبا بعد تلقيه العلم و أصول الدين و الفقه و الحديث في الزاوية العثمانية بطولقة – و الزاوية المختارية بأولاد جلال، و أذن مشيخة الزاويتين له و ذلك بمدينة مسعد، عملت الزاوية على الوقوف في وجه المستعمر و صده عن محو الهوية الوطنية الجزائرية، فركزها على تعليم القرآن و المحافظة على الأخلاق و التفقه في الدين، وواصل سيره في طريق السنة، و استمر داعيا الجمع الغفير للتعليم حتى توفي سنة 1891م، ثم خلفه عليها أخوه الشيخ سيدي يوسف فازدهرت بالحفاظ للقرآن و تخرج منها جماعات و اهتدى بهديه خلق كثير، وواصل المشوار و كانت الزاوية آنذاك لها مقرات صيفا وشتاء حسب الظروف المواتية، و كانت مأوى للمستضعفين من اليتامى و الأرامل و العجزة والمساكين، كانت ترداد الزاوية الهبات و الهدايا و التبرعات من المحسنين و كل ذلك ينفق على الطلبة و القاصدين و المقيمين، و لم يأل الشيخ جهدا في النصح و الصلح بين المسلمين، و استمر في جهاده حتى أتاه اليقين سنة 1917م، و يتولى شؤون الزاوية بعده و هو الشيخ المختار الذي عرف بالكرم و الزهد و البذل، و عاش في زمن قاس و أزمة حادة و سنين طويلة عجاف، تخرج على يديه حفظة للقرآن الكريم، و كان يكرمهم و يحثهم على الاستقامة و هذا ديدنه حتى توفي سنة 1951م فخلفه على الزاوية، أخوه الشيخ محمد الطيب، سار على نهج سلفه حتى توفي سنة1969م، فجاء بعده أخوه الشيخ سي بلخير بمساعدة أخيه و قرينه الشيخ

[1]– المرجع نفسه. ص40، 41.

بلقاسم، فعاشا متعاونين متصادقين على استقامة و محافظة على تراث الأب و العم، فقاما أحسن قيام حتى توفي الشيخ بلقاسم سنة 1975م، و بقي الشيخ بلخير مسؤولا على الزاوية و القيام بطلبتها و شؤونها و ضيوفها حتى توفي سنة 1982م، فخلفه ابنه الشاب سي المختار بمؤازرة ابن عمه سي عبد العزيز، كما كان أبواهما متآزرين متعاونين و يساعدهما على الطلبة سي عبد الرحمان أخ سي المختار جابهوا متاعب ومصاعب في العشرية الأخيرة من القرن الثاني و استهدفوا في حياتهم كم من مرة، و لكن رعاية الله أحاطت بهم فهم سائرون و بحفظ الله محاطون معافون[1].

إذا كان عون الله للمرء خادما تهيأ له من كل صعب مراده

8.10 زاوية الشيخ الصادق بن الشيخ:

أسس الشيخ الصادق الناجوي زاويته بإذن من الشيخ سيدي المختار بن عبد الرحمن بن خليفة شيخ الطريقة الرحمانية، و كانت زاوية الشيخ الصادق متنقلة صيفا و شتاء يغلب عليها الطابع البدوي و مع قساوة و ثقل طبيعة البادية كانت الزاوية عامرة بحفظة القرآن نشطة بوقوف مؤسسها الحازم بمساعدة المحتاجين و توقظ الهمم و العزائم و تخرج منها حفظة و فقهاء و سنة 1926 م توفي رحمه الله، و خلف ابنه الشيخ الحاج المختار و استمر في نشاطه و الإشراف على زاوية أبيه موجها للطلبة و حرص على التعليم القرآني و ساعيا في الخير بكل مجهوداته توفي سنة 1971م. ثم خلفه أخوه الشيخ عبد الجبار في وقت قلت فيه الأنصار و انتشرت الرذائل و قضي فيه الشيخ عبد الجبار زمنا فاترا عن التعليم توفي سنة

[1]– المرجع نفسه. ص 27، 28.

1990. فخلفه ابن أخيه الشيخ الصادق بن الشيخ محمد الطاهر وورث ثقل ما تركه له عمه[1].

9.10 زاوية الشيخ محمد بن مرزوق عين وسارة:

تنقل الشيخ محمد بن مرزوق طالبا للعلم متصيدا للمعرفة الصحيحة، و انتهى به المطاف إلى و المربي الفاضل الشيخ المختار بن عبد الرحمن شيخ الطريقة الرحمانية مؤسس زاوية أولاد جلال، فقرأ علم التوحيد و الفقه، و تزود بالمعارف، و تهيأ لأن يقوم بما يكلف به، عند ذاك أذن له شيخه بإنشاء الزاوية، سنة 1825 م الواقعة قرب بنهار دائرة البيرين، و قصدها الطلاب و استأنفت نشاطها في تحفيظ القرآن الكريم لأنباء المسلمين بإشراف المؤسس و بتوجيهاته، في وقت تعرضت فيه الجزائر للاحتلال ومكائده فقام الشيخ بالتوعية و التحذير من العدو حتى توفي سنة 1911 م ، فخلفه على الزاوية ابنه الشيخ عبد القادر و سار على نهج أبيه حرص على التعليم القرآني والفقه، كانت الزاوية تقوم المعوزين و الفقراء و المساكين، من إطعام و إيواء و صدقات توفي الشيخ سنة 1957م، فخلفه نجله منصور ، و اتبع أباءه في القيام بشؤون الزاوية و الحفاظ على مقوماتها من تعليم قرآن و تهذيب أخلاق و تقديم إحسان غير أن ولايته لم تطل فتوفي في سنة 1959م ، فخلفه أخوه الشيخ لطرش إلى أن توفي سنة 1970 م فخلفه ابنه الشاب الشيخ رابح، قام بإصلاحات و توسيعات و مبان للطلبة و الضيوف و جدد ما كان باليا و شجع طلبة القرآن بالمسابقات و الجوائز، و منذ

[1]– المرجع نفسه. ص39، 40.

[25]– المرجع نفسه ص 30 ، 31

26– مسعودي عطية، مخطوط لقصيدة بعنوان: الدرة المضيئة في ذكر سند مشايخ الخلوتية الرحمانية.

تأسيسها تخرج منها طلبة و حفز للقرآن الكريم لا يحصون كثرة و لا زالت صامدة في الميدان[1].

يقول الشيخ عطية مسعودي الإمام بالجلفة من خلال الدرة المضيئة في ذكر سند مشايخ الخلوتية الرحمانية

هـــم رجـــال الـــدين نصـــرته و مـن تـوى في حمـاهم قـط لم يضـم
هـم الجبـال ثباتـا و البحـور نـدى فبالفضـل ثـاو أخـيَّ في رحـابهم
هـم عصـمة لـذوي الإيمـان مانعـة و هـم سيوف العدا اقطع بسيفهم
اللاهجـــون بـــذكر الله وقـــتهم و النـاهجون طريـق الحـق فاسـتقم
و الـدافعون عـن الإسـلام كـل أذى و الرافعـون لـواء الـدين في نظـم
و الصـائمون عـن الـدنيا وزخرفهـا و القـائمون بحـق الله ذي العظـم
و الراكبـون متـون الـدهم مطلـبهم حـب الإلـه فحـاذر فالجنـاب سمـي
نـــور النبـــوة ســـار في ســـرائرهم بـه اهتـدوا و ارتقـو لنيـل عـزهم
هـذا هـو الفضـل فضـل الله يؤتيـه مـن يشـاء جـل الإلـه واهـب الـنعم
فلـذ بهـم و اعتقـد و اذكـر منـاقبهم مسـتنزلا رحمـة المـولى لـذكرهم
لا تـــركنن لحســـود راح منقـــدا عليهمـو مـن عمـى بـه و مـن صـمم
لم يعطـــه الله نـــورا يستضـــيء بـــه أنى يـرى مـا يـرى ذو النـور مـن أمـم

الخاتمة :

الزاوية كانت و لا تزال معقلا حصينا ، يحتمي الوافدون إليه من شرور النفس ، و يسعون من خلال هذا المكان الروحاني المشع بالذكر و العبادة ، إلى تخليص النفس مما علق بها من شوائب الحياة متواصين بالخيرات ، متعاونين على ما فيه مصلحة العباد ، مما يؤهل الفرد و الجماعة إلى حياة طيبة الغالب عليها دفع المضار و استجلاب المنافع ، وهو مات أثبته التاريخ منذ الاستعمار الفرنسي بشهادة جنرالاته إذ الحق ما شهد به الأعداء ، فقد أقروا بأهمية الطرق الصوفية ، ودورها الفاعل في نشر الإسلام ، و العربية ، و الدفاع عن الوطن ، و محاربة الاستعمار ، و مجابهة حمالات التبشير المسيحية .و الطريقة الرحمانية هي الطريق الأكثر شيوعا في ولاية الجلفة المؤسسة على الكتاب و السنة وعلى مدار سنين طوال و إلى اليوم أدت زوايا الطريقة الرحمانية ، و لا تزال تؤدي أدوارا إيجابية متنوعة .

قائمة المراجع

1) رشدي ياسين، التصوف ما له و ما عليه، نهضة مصر
2) محفوظي عامر، تحفة السائل بباقة من تاريخ سيدي نايل، ط1. سنة 2002
3) الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة. طبعة جديدة. ج3. سنة 1980.
4) عبد القادر الشطي، حقيقة السلفية الوفية. مذهب أهل الحق الصوفية.
5) عطية مسعودي ، مخطوط لقصيدة بعنوان: الدرة المضيئة في ذكر سند مشايخ الخلوتية الرحمانية.
6) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 10 إلى 14 هـ (16-20م)، ج1، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، سنة 1985.
7) الحسيني محمد المأمون، ورد الطريقة الرحمانية من الكتاب و السنة ، دار الخليلي ، ط1 ، سنة 2005 .
8) باش تارزي مصطفى، شرح الرحمانية. كتاب المنح الربانية. المطبعة التونسية، 1351
9) قويسم الميلود، موسوعة التحقيق المتكامل في نبذة من مناقب و عادات و تراث أجداد العروش الأوائل. دار أسامة. ط1. ج3. سنة 2006.
10) القاضي النعمان، آداب أتباع الأئمة. تقديم و تحقيق: مصطفى غالب. منشورات دار الهلال. سنة 1985.
11) مسعودي يحي، مقال بعنوان: "ما لا نعرفه عن الدور الحقيقي للزاويا" بجريدة الصباح. العدد 257. بتاريخ 23 نوفمبر 2004.